١٤

أحوال المسلم بعد رمضان (١)

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للَّه،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله..

كان المسلمون في شهر رمضان المبارك يتمتعون بأنواعٍ من العبادات، من

(١) تخطب هذه الخطبة بعد عيد الفطر في أوائل شهر شوال .

صيام وصدقة وتلاوة للقرآن الكريم وغير ذلك، فالمطلوب هو الثبات على ذلك الخير، فيجب على المسلم أن يثبت على عبادة ربه وأن يكثر من طاعته في كل زمان ومكان، لأن بعض الناس لا يعبد الله تعالى إلا في رمضان فإذا خرج رمضان نكص على عقبيه، وترك الصلاة والصدقة وتلاوة القرآن الكريم، وهذه علامة الخذلان وطريق الحرمان وعنوان الخسران.

فداوم على طاعة ربك يا أيها المسلم، فإن الاستمرار على الطاعات والمداومة عليها علامة على قبولها، وترك العبادات واستبدالها بالمعاصي علامة على ردها، كما سيأتي بيان ذلك وذكر الأدلة عليه.

فإن من العلامات على قبول الطاعات في شهر رمضان هو الاستمرار والثبات عليها بعد رمضان قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[إبراهيم:٢٧].

فمن علامات الإيمان: هوالثبات على توحيد الله والعمل الصالح في الدنيا وعند الموت وعند القبر وعلى الصراط يوم القيامة.

ومن علامات الهداية: هوالاستمرار على الهدى والثبات عليه قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد:١٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾[مريم:٧٦].

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذين قصدوا الهداية وفقهم لها فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها. اهـ .

وقال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي بسبب اهتدائهم إلى الإيمان زادهم الله من الهدى الذي هو العلم والعمل الصالح. اهـ

وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالثبات على التقوى والاستمرار عليه والتزود منه وهو أمر له ولأمته عليه الصلاة والسلام، وهو أتقى الخلق وأخشاهم لله.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:١] : أي دم على تقواه. اهـ

وقال المفسر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : دم على ذلك وازدد منه. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فإنه تعالى إذ يأمر عبده ورسوله بهذا، فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى. اهـ

بل قد أمر الله نبيه ﷺ ومن معه من المؤمنين بالمداومة على التقوى والعبادة حتى الموت فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته ونشاطه وإمكانه مداوما لتقوى ربه وطاعته، منيبا إليه على الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة. اهـ .

وقال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر:٩٩] : أي الموت ، وَيُسْتَدَلُّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ كَالصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا وَاجِبَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا دَامَ عَقْلُهُ ثَابِتًا فَيُصَلِّي بِحَسَبِ حَالِهِ، وَيُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى تَخْطِئَةِ مَنْ ذَهَبَ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَقِينِ الْمَعْرِفَةُ، فَمَتَى وَصَلَ أَحَدُهُمْ إِلَى الْمَعْرِفَةِ سَقَطَ عَنْهُ التَّكْلِيفُ عِنْدَهُمْ. وَهَذَا كُفْرٌ وَضَلَالٌ وَجَهْلٌ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَانُوا هُمْ وَأَصْحَابُهُمْ أَعْلَمَ النَّاسِ بِاللهِ وَأَعْرَفَهُمْ بِحُقُوقِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَكَانُوا مَعَ هَذَا أَعْبَدَ النَّاسِ وَأَكْثَرَ النَّاسِ عِبَادَةً وَمُوَاظَبَةً عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ إِلَى حِينِ الْوَفَاةِ. اهـ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائبا في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه ﷺ تسليماً كثيرًا. اهـ.

ولقد كان من وصايا النبي ﷺ لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : « **اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ** » . رواه الترمذي .

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي في أي زمان أو مكان كنت فيه، رآك الناس أم لا، فإن الله مطلع عليك. اهـ.

فالمسلم يلازم تقوى الله تعالى ويستمر على طاعته في ليله ونهاره وفي سره وجهاره في خلوته وجلوته وفي إقامته وأسفاره في رمضان وفي شوال وفي شعبان وسائر الشهور ولأنه لا يدري متى سينزل به الموت، ولأن المعبود هو واحد في شهر رمضان وفي غيره من الشهور فحياة العبد كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

« « **اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا** » :

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية فما أحسن الحسنة بعد السيئة تتلوها وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها فسلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات وتعوذوا بالله من تقلب القلوب ومن الحور بعد الكور. اهـ بتصرف.

وقال بعض السلف: إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها أخوات وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها أخوات. اهـ ومعنى أخوات:أي: من الحسنات أو السيئات.

فالواجب على العباد المداومة على العبادات حتى المماتِ فإن الله يحب من العبد أن يداوم على الأعمال الصالحة، وأحب الأعمال إلى الله ما داوم عليها صاحبها وإن قلت.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَحَبُّ الْأَعْمَالَ إِلَى الله تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ** » وَكَانَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ الله عَنْهَا- إِذَا عَمِلَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ.

وفي رواية عند مسلم عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « **كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ مَرِضَ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً** » .

ومعنى أثبته :أي جعله ثابتا مداومًا عليه غير متروك، فكان عليه الصلاة والسلام يداوم على قيام الليل في رمضان وفي غيره وكان إذا فاته القيام من الليل من عذر ونحوه قضاه من النهار ثنتي عشرة ركعة، بخلاف الذي لا يقوم الليل إلا في رمضان بل بعض الناس يظن أنه لم يشرع القيام إلا في شهر رمضان وهذا من الجهل العظيم.

فقد روى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: « **مَا كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً** » .

وكان من مداومته ﷺ على العمل الصالح أنه كان يعتكف كل سُنَّة في رمضان منذ دخل المدينة فخرج من المعتكف إحدى السنوات لما رأى معتكفات أزواجه قد كثرت في المسجد فخرج منه ثم قضاه بعد رمضان فاعتكف في شوال.

والحديث في صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

أيها الناس..

إذا كان شهر رمضان قد ذهب لكن العبادات والتكاليف باقية لم تذهب فهناك صيام مشروع غير صيام رمضان

* منه صيام الاثنين والخميس فإنه مستحب، فقد كان النبي ﷺ يصومهما لأنهما ترفع فيهما الأعمال فكان ﷺ يحب أن يرفع عمله وهو صائم كما ثبت ذلك عند الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* ومنه صيام الثلاثة البيض يستحب صيامها، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر، فصيامها يذهب وحر الصدر أي: حقده وغيظه. كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ عند النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وصيامها كصيام الشهر كله لأن الحسنة بعشر أمثالها.

* ويستحب صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء، وهو العاشر من محرم كما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عرفة فَقال: « **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ والبَاقِيَةَ**»، وسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: « **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ** » .

ويستحب الإكثار من الصيام في شهر الله المحرم لما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**» .

ويستحب الإكثار من الصيام في شهر شعبان ، ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: « **كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لاَ يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ** » .

ويستحب صيام ست من شوال، لما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ** » .

وهذه الست تكون ضمن شهر شوال، في أوله أو وسطه أو آخره، وتكون متتابعة أو متفرقة، كل ذلك مجزئ، وهي مستحبة ولا تجب بمجرد الشروع فيها كما يعتقده بعض الناس، فمن صامها عامًا ولم يصمها العام الآخر فلا حرج عليه ولا يلحقه عقاب.

وصيام رمضان مع صيام الست من شوال كصيام الدهر لأن الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان بعشرة أشهر والست من شوال بستين يومًا أي بشهرين فيكون مجموع ذلك: اثني عشر شهرًا أي: سَنَة . فمن داوم عليها كل سَنَة كان كمن صام عمره كله.

أيها الناس..

إذا كان شهر رمضان قد ذهب فإن الصلاة باقية في كل شهر وهي آكد من الصيام وهي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي العهد بين المسلم والكافر فمن تركها فقد كفر وهي أول ما يحاسب عليها العبد يوم القيامة فإن صلحت، صلحت سائر الأعمال وإن فسدت فسدت سائر الأعمال.

فما بال أناس يتركون الصلاة بخروج رمضان ؟أين تلك الجموع التي كانت تملأ المساجد في شهر رمضان ؟لا سيما في صلاتي الفجر والعصر، ماذا حصل لهم؟ أليس المعبود في رمضان هو المعبود في شوال؟

أين المداومة على الصلوات؟فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ امتدح المداومين عليها فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المعارج : ٢٣] وتوعدالمتهاونين بها فقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون :٤:٥]، فيا عباد الله كونوا ربانيين ولا تكونوا رمضانيين.

فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان قد ذهب! ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

قال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الحسن: أي: عطلوا المساجد ولزموا الضيعات. أي: الدنيا.

وقال في قوله: ﴿ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴾: أي خسارًا يوم القيامة. اهـ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ﴿ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴾: أي عذابا مضاعفا شديدا. اهـ.

وما بال أناس لا يقرؤون القرآن الكريم إلا في شهر رمضان، فإن هذا من هجر القرآن الكريم لحيث أنهم لا يقرؤونه إلا في رمضان، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ ﴾[الفرقان:٣٠].

فمِن هجرالقرآن عدم قراءته، وعدم تدبره وعدم العمل به، وعدم تعلمه وحفظه، وعدم التحاكم إليه ونحو ذلك، كل هذا من هجر القرآن الكريم.

فإن من أول ما يسأل عليه العبد في قبره لهو القرآن الكريم، فيقال له: « من ربك من نبيك وما علمك أو ما عملك؟ فالمؤمن يقول: ربي الله وديني الإسلام وعلمي القرآن قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت... وأما الكافر فيقول: هاه هاه لا أدري. والحديث عند الإمام أحمد عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فيا عباد الله: الثبات الثبات على عبادة الله تعالى من صلاة وصيام وقيام وصدقة وتلاوة للقرآن وغيرذلك من العبادات.

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم حتى الممات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ، وعلى آله وأصحابه، ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

فإن المداومة على عبادة الله والاستمرار عليها علامة على قبولها وعلامة على توفيق العبد وعلامة على محبة الله للعبد وتسديده.

فقد روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ** » .

الشاهد من الحديث: قوله تعالى في الحديث القدسي: « **وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**» : ففيه المداومة والاستمرار على النوافل من قوله: «**وَمَا يَزَالُ** » وأن ذلك من أسباب محبة الله لعبده وتوفيقه وتسديده وعصمته وحفظه بجوارحه .

ولنا في هذا الحديث وقفات:

الوقفة الأولى: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدافع عن أوليائه المتقين وعباده الصالحين، فينصرهم ويخذل أعداءهم فيهلكهم، لأنه لا ناصر لمن حاربه الله،

ومن هذا الذي يتصدى لحرب الله عَزَّوَجَلَّ ؟! ، فمن عادى أولياء الله فقد اختار لنفسه الهلاك والخسارة .

وأولياء الله هم المتقون كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣] .

الوقفة الثانية: أن أمر الفرائض أعظم شأنًا من النوافل وأحب إلى الله، وأن الله لا يقبل النوافل إلا مع الفرائض، وأن النوافل تجبر الفرائض إن حصل فيها نقص أو قصور. فهذا يستفاد من قوله تعالى: « **وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ** » .

قال ابن بطال: وفيه أن النوافل إنما يزكو ثوابها عند الله لمن حافظ على فرائضه وأداها.اهـ .

الوقفة الثالثة: أن المداومة على النوافل من أسباب محبة الله للعبد وأن الله إذا أحب عبدا أحبه من في السماء والأرض، لما روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ** » .

الوقفة الرابعة: أن في هذين الحديثين إثبات المحبة لله تعالى بما يليق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]. فإنه تعالى يُحِبُ ويُحَبُ.

الوقفة الخامسة: أن الله إذا أحب عبدا فإن علامة ذلك أن يوفقه للخير ويعصمه من الشر ويسدده في عمله فلا يبصر ولا يسمع إلا ما يرضي الله ولا

يمشي إلا إلى خير ولا يعمل إلا خيرًا، وذلك بسبب مداومته على النوافل بعد الفرائض، و يؤخذ هذا من قوله تعالى: « **فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ،وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**». الحديث .

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الحديث: يعني أن الله يسدده في سمعه فلا يسمع إلا ما يرضي الله. وبصره: يسدده في بصره فلا يبصر إلا ما يحب الله. ويده التي يبطش بها: فلا يعمل بيده إلا ما يرضي الله. ورجله التي يمشي بها: فلا يمشي برجله إلا لما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ فيكون مسددا في أقواله وفي أفعاله.اهـ.

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يعني يجعل الله سلطان حبه غالبًا حتى لا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا ما يحبه الله عونًا له على حماية هذه الجوارح عما لا يرضاه أو هو كناية عن نصرة الله وتأييده وإعانته له في كل أموره وحماية سمعه وبصره وسائر جوارحه عما لا يرضاه. اهـ

الوقفة السادسة: أن المدوامة على النوافل والمحافظة عليها من أسباب إجابة الدعاء لقوله تعالى: « **وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّه**» .

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ورأيت لبعض الناس أن معنى قوله تعالى: (فَأَكُونَ عَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَيْهِ اللَّتَيْنِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَيَدَيْهِ اللَّتَيْنِ يَبْطِشُ بِهِمَا، وَرِجْلَيْهِ اللَّتَيْنِ يَمْشِي بِهِمَا) .

قال: وجه ذلك أنه لا يحرك جارحة من جوارحه إلا فى الله ولله، فجوارحه كلها تعمل بالحق، فمن كان كذلك لم تُردّ له دعوة. اهـ .

فيا أيها المسلم اثبت على الخير الذي كنت عليه في شهر رمضان لعل الله أن يتقبل صيامك وصالح أعمالك ويثبتك على دينك حتى مماتك، فإن الثبات على الأعمال الصالحة والمداومة عليها من أسباب قبولها، ومن أسباب حسن

الخاتمة، وقد قال النبي ﷺ: « إنما الأعمال بالخواتيم» . راه البخاري عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

نسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يثبتنا على طاعته حتى نلقاه ، وأن يجنبنا كل ما يسخطه ويأباه ، وأن يعيننا على عبادته حتى الممات ، وأن يختم لنا بالحسنى بمنه وكرمه ، فهو حسبنا ونعم الوكيل.